

جاري الإمام عليّ ..

وَأَسْمَعُ فِي الْأَرْجَاءِ مَا يَتَّصِدُعُ
وَمَا كَانَ فِي التَّفَكِيرِ يَهْوَى اسْتِحَالَةَ
وَلَا كَانَ فِي التَّدْبِيرِ يَخْنِي وَيَجْرُعُ
وَحَكْمَهُ أَهْلُ النَّزَاعِ فَقَادَهُمْ
إِلَى الْحَقِّ، إِنَّ النَّاسَ لِلظُّلْمِ تَنْزِعُ
وُظِلَّ عَلَى التَّقْوَى يُقِيمُ صِرَاطَهُ
لِيُؤَلِّدَ مِنْ رُوحِ الصَّلَاةِ مُسْرِعُ
فَإِنْ نُصِرَ الْأَشْرَارُ كَانَ غَرِيمَهُمْ
وَإِنْ نُصِرَ الْأَخْيَارُ فَهُوَ الْمُوقِعُ
وَكُلُّ خَطِيبٍ مَدْعُ يَنْطَوِي عَلَى
جَوَارِحِهِ حَتَّى يَكَادُ يُشْبِعُ
مُهَابٍ عَمِيقاً مَا يُهَابُ بِشَخْصِهِ
وَذَاكَ الَّذِي فِيهِ يُهَابُ ... لَمُنَعُ

تَأَدَّبَ قُرْآنًا.. تَكَلَّمَ سُنَّةً
وَمَا كَانَ إِلَّا بِالسَّمَاوِيِّ يَطْمَعُ
وَدَارَ عَلَى الْأَيَّامِ يُلْقِي خِطَابَةَ
كَأَشْرَابِ عُقْبَانٍ تَحُطُّ وَتَقْلَعُ
عَنِ الْأَرْضِ.. قَالَ الْأَرْضُ غَرَارَةٌ كَمَا
مَعَ اللَّوْنِ وَاللَّوْنِ الطَّوَالِيْسُ تَخْدَعُ
عَنِ اللَّوْنِ فِي وَجْهِ جَمِيلٍ لَهُ جَمِيٌّ
وَيَبِينُ جَنَاحَيْنَا ارْتَأَى الْعُرْشَ يُرْفَعُ
وَعَنْ سِرِّ أَطْبَاعِ الرُّجَالِ فَايُنَا
تُلَاطِمُ أَطْبَاعِ السَّبَاعِ، فَتَسْبِعُ
عَنِ الْعُرْفِ نَفْصِيهِ أَسَارِي تَجَاشِعُ
فَيَحْدِلُنَا فِيهِ خِتَامٌ وَمَطْلَعُ
عَنِ الدِّينِ، إِنَّ الدِّينَ مَا كَانَ غِلْظَةً
وَلَا رَبَّ بِالتَّمَنُّينِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ
عَنِ الْكِرَمِ اللَّمَّاحِ وَالْبُحْلِ حَاسِدُ
وَهَلْ حَسَدٌ مَعَ ثَوْرَةِ النَّهْرِ.. يَنْفَعُ؟
وَعَنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ بِالْفَقْرِ وَالْغِنَى
فَلْيَلْطَفْ مَا لِلشَّيْخِ، حِضْنٌ وَمَوْقِعُ
عَنِ الْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ يَجْعَلُهُمْ رَفِيٌّ
وَأَسْمَاءُ هُمْ فِي صَفْحَةِ الشَّمْسِ تُطْبَعُ
عَنِ الْمَوْتِ نَفْصِيهِ.. يَنْغُضُ خَوَاطِرُ
وَلَكِنْ لَهُ فِي مَضْجَعِ الْبَيْتِ.. مَضْجَعُ
وَقَالَ «أَضْرِبُوا رَأْيًا بَرَّأِي فَيُؤَلِّدُ
الصُّوَابُ»... وَأَعْصَانُ الْحَلِيقَةِ تَنْتَعُ
هِيَ الْحِكْمُ الْأَخْلَى مِنَ الْوَرْدِ بِأَسْهَى
يَظَلُّ لَهَا مَا بَيْنَ صِدْقِهِ مَقْلَعُ
غَلِيْكَ هَذَا، لَا الْفَصَاحَةَ أَنْجَبَتْ
وَلَا نَطَقَ الْمِيزَانُ مَنْ مِنْهُ أَرْوَعُ

وَنَسْأَلُ: أَيُّنَ النَّاسِ مِمَّا فَعَلْتَهُ
وَعَاشَتْ بِهِ أَجْرَاسُ صَبْرِكَ تَفْرَعُ؟
فَهَلْ كَانَ فِي الْأَذَانِ ضَمٌّ جِجَارَةٌ
وَهَلْ كَانَ تَحْتَ الْحِلْمِ... وَخَشْ مُنْعَتُ؟
كَأَنَّ عَلَى الْأَعْرَابِ لَعْنَةُ مَيِّتٍ
تَسَلَّمَ أَكْفَانًا وَرَاحَ يُورَعُ...
فَمِنْ بَعْدِ الْآبِ، قُلْ: وَالْفِ وَيَضْفِئُهَا
صَنَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ... مَا كَانَ يُضْنَعُ؛
فَتَلْنَا أَبَا بَكْرٍ... لِيَخْلَفَ بِاسْمِهِ
وَفِي عُمُرٍ... صَافَتْ عَلَى النَّارِ أَضْلَعُ
وَعُثْمَانُ فِتْنَتَانِ جُرُوحَ قَمِيصِهِ
وَقِصَّتُهُ فِينَا جُوعُ... وَتَسْبِعُ
وَأَنْتَ عَلِيٌّ.. شَقٌّ رَأْسَكَ شَقَّةُ
تَصَدَّى لَهَا رَأْسَ الْحُسَيْنِ الْمَرْوَعُ
فَيَا عَقْبُ النَّارِيخِ، هَذَا قَبُورُنَا
وَنَحْنُ عَلَى الْبَلْوَى نَطْلَعُ.. وَأَقْطَعُ؟! ■■■

عَلِيٌّ هُوَ الْمَعْلُومُ مِمَّا عَرَفْتُمْ
وَمَجْهُولٌ مَا أَوْحَى عَنِ الْكُونِ أَرْفَعُ
وَمُنْبَرُهُ الْمُخْفُورُ أَخْرُفَ يَقْطَعُ
يَصِيحُ... وَأَغْنَأَقُ الْمَنَائِرُ تَخْشَعُ
عَلِيٌّ هُوَ الْإِبْرَارُ حَضَرَ نَفْسَهُ
لَاخِرَةَ فِيهَا الْمَرَاجِمُ أَوْسَعُ
وَلَوْلَاهُ أَبْضَرْنَا بِأَمِّ قُلُوبِنَا
مَضَاجِفُ رَاحَتْ بِالْمَصَاحِفِ تَصْرَعُ
وَلَوْ شَاءَ مِنْ يَوْمِ الْغَدِيرِ «شَهَادَةَ
عَلَى حَقِّهِ، شَلَّ الَّذِي لَيْسَ يَقْنَعُ
وَلَكِنَّهُ أَبْقَى بِمَوْقِفِهِ السَّمَا
عَلَى قَدَمَيْهَا كَلِمَةً لَا تَرْعَعُ
ضَمِيرٌ؟ أَمْ الْإِيمَانُ؟ أَمْ جَمْرَةُ الذُّكَا؟
بُدُورٌ عَلَى جَارِي عَلِيٍّ تُسْعِشِعُ
نَعْدُ رَجَالًا؟ يَنْتَوِي الْعَدُّ عِنْدَهُ
وَتَقْتَلُهُ؟... نَهَجُ الْبَلَاغَةَ يَنْبَعُ...
لِيَبْقَى أَبُ الْمَجْدِيِّينَ: مَجْدُ مُقَاتِلِ
وَمَجْدُ إِمَامِ أَوْلِ النَّاسِ يَرْكَعُ.

شعر عبد النبي طليس

عَلَى غَيْمَةٍ لَوْ كُنْتُ طَالَتِكَ أَدْرَعِي
لَأَنْتِي عَلَى مَاءِ النَّوَارِلِ أَطْلَعُ
فَكَيْفَ إِذَا مَا كُنْتُ فِي الْقَلْبِ قَائِمًا
تُصَلِّي... وَفِي صَدْرِي أَذَانُكَ يُرْفَعُ؟

■■■■
عَلِيٌّ هُنَا.. جَارِي الْقَرِيبِ وَبَيْنَ أَبِي
وَصُورْتُهُ فِي الْبَيْتِ بِي تَنْطَلَعُ
أَذْكُرُهُ بِالْمُؤْمِنِينَ.. إِذَا انْبَرُوا
أَمْ أَنِي بِإِنْسَانِ الْبَسَاطَةِ مُوَلِّعُ
لَقَدْ كَانَ فِي صَدْرِ الْجِدَارِ مُكْرَمًا
يَنَامُ وَيَصْحُو وَالْحِكَايَاتُ تَلْمَعُ
وَكُنَّا خُرُوجًا فِي الصَّبَاحِ مَعًا
وَفِي اللَّيَالِي أَمَامَ الْمُصْطَفَى نَتَرَبِّعُ
وَنُظَرَّتْهُ ظَلَّتْ عَلَيَّ كِنْعَمَةٌ
تَرَاغَفَنِي كَهَلًا لِي الْأَرْضُ تُوسِعُ
وَضَاعَتْ سِنِينَ فِي الْهَوَاءِ خَفِيفَةً
شَعْرَتْ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ مِنْهَا.. سَافِرْعُ
وَعُدْتُ إِلَى بَيْتِي فَلَمْ أَلْقِ صُورَةَ
فَأَجْفَلُ عِرْقُ كَادَ فِي الْعُنُقِ يُقْطَعُ
أَيَا صُورَةَ فِي الرَّأْسِ عَنْ مَكَانِهَا
سَلَامًا عَلَى مَا كَانَ.. لَوْ كَانَ يَرْجَعُ!

■■■■
عَلِيٌّ.. وَتَمْضِي الْأَرْضُ فِي هَدْيَانِهَا
تُعَزُّ ذَوِي الْأَلْقَابِ ثُمَّ تُودِعُ:
مَلِكٌ هُنَا، مِثْلَ الصَّبَاغِمْ شَارِبُ
نَمًا، وَلَهُ هَبُّ النَّسَائِمِ يَخْضَعُ
وَحُكْمٌ هُنَاكَ الرَّفْقُ بِلَسْمِ شُعْبِيهِ
إِذَا مَا تَرَأَى لِلْجَرَاحَاتِ مَوْضِعُ
جَمِيعُهُمْ مَضُوا رَحِيقَ زَمَانِهِمْ
وَمَاتُوا، نَعَمْ مَاتُوا... وَلَمْ يَتَوَقَّعُوا!
وَيَبْقَى خُلُودًا مَنْ حَكَى اللَّهُ أَنَّهُمْ
كَإِبْدَاعِهِ... كُلُّ بِأَيْدِيهِ يُبْدَعُ
وَهَذَا عَلِيٌّ.. لَيْسَ أَوْلَ غَيْثِهِمْ
وَلَكِنْ لَهُ نَجْمُ الْمُوَدَّةِ يَبْشَعُ
فَفَاطِمَةُ كَانَتْ مَحَاجِرَ رُوحِهِ
وَعَتَبَةُ بَيْتِ، نَفَقَةُ الْقَلْبِ تَسْمَعُ
وَإِسْلَامُهُ بِالْحَقِّ أَرْشَدَهُ إِلَى
إِلَهٍ لَهُ عَيْنٌ مِنَ الشُّوقِ تَنْمَعُ
وَلَقَمَتَهُ كَانَتْ لِمُخْتَاجِهَا شِفَا
وَفِي فَمِهِ مَا مَرَّ حَبْرٌ مُضْبَعُ
فَتَى لَا فَتَى إِلَّا قَيْلٌ، وَشُوهِدَتْ
خَصَانَتُهُ مِنْ وَجْهِهِ تَنْصَوِّعُ
فَعَقَلُ لَهُ يُلْقِي عَلَى الشَّرِّ قَبْضَةً
وَنَفْسُهُ لَنْ تَبْدِي الْعَفَافَ وَتَسْفَعُ
وَحَمَلَةٌ عَطْفُ النَّبِيِّ هِنَاءَةً
إِذَا نَحَلْتَ أَرْضًا رَهْمَتْ.. وَهِيَ بَلَقَعُ
نَبِيٌّ.. فَإِنَّ مَاتَ اخْتَفَى قَمَرُ الرِّضَا
وَبَانَتْ نَوَابِي النَّاسِ ثَوْبًا يُرْفَعُ
وَصَارَ خَفِيٌّ الْبُعْضُ يُغْلِبُ نَفْسَهُ
فَيَرْفُضُ جَنِّ لِمَا لِقْتَوَاهُ مَرْجِعُ
وَصَارَ عَتِيٌّ الْجَهْلُ أَرْحَبَ غَايَةً
تَلَّمَ عِيونًا بِالْخِرَافَاتِ تَقْسَعُ
وَمَا تَلَكُّمُ الْأَجْنَاسُ تَقْبَلُ نَضْحَهَا
بَلْ عَادَاتُ الدَّهْرِ الْمَجْلُ يَضْفَعُ
فَقَالَ «سَلُونِي» صَادِقًا، لَمْ يُصَدِّقُوا
فَوَقَوْا وَجْهَهُ الْقَوْمُ رَفْرَفَ يُرْفَعُ
وَلَمْ يَنْتَهِنِ الْعَرْمُ الْمَجْنَحُ عِنْدَهُ
فَلَيْسَ عَلِيًّا مَنْ إِذَا حَابَ.. يَصْدَعُ!

■■■■
عَلِيٌّ أَمَامَ الْكُونِ رَضَّ صُفُوفَهُ
وَرَأْسَانِ رَأْسِ السَّيْفِ: سَهْلٌ وَمَوْجِعُ
يُحَرِّكُهُ فَوْقَ الْجِيوشِ كَعَصِيفِ
عَلَى وَقْعِهِ الْأَرْضُ الْغَشِيمَةُ تَهْلَعُ
وَفَارَ سَهْمٌ بِخَشْيِ فَوَاتِكِ لَخْطِهِ
فَيَهْرَبُ خَوْفَ الضَّرْبِ... رَجُلَاهُ أَرْبَعُ
وَتَقْلِبُ أَقْدَامَ الْخِيُولِ رَجَالِهَا
وَنُظَرَّتْهَا بَيْنَ الْقَوَائِمِ تُودِعُ
فَتَسْأَلُ أَرْكَانَ الْبَوَارِي تَعَجُّبًا:
أَحْيَلُ جَبَانٌ أَمْ عَلَى الْخَيْلِ خَلْعُ؟
إِلَى الْحَرْبِ كَرَارًا، إِلَى السَّلَامِ مَائِلُ
فِي مُقَاتَلَتِهِ الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ يَجْمَعُ
فَلَا تَنْتَعُ لِلسَّيْفِ تَوْجِبُ خَلْجَةٍ
بِسَاعِدِهِ، أَوْ يَحْطِيءُ الدَّرْبَ إِضْبَعُ
وَكَمْ أَرْسَلَ الصَّوْتِ الْبَهِيِّ مُخْلَقًا
فَأَخْضَعُ مَا بَيْنَ الرُّؤْيِ يَنْتَمَعُ
وَيَعْتَرُّ فِي الْأَذْهَانِ بِرُؤْيِ مَوَاجِعِ



من مجموعة Upekha للفنانة المصرية نرمين همام (2011)

وقت للكتابة

فيرونك تصف الربيع العربي

خالد النجار *

العشرين...
فيرونك عينة مجتمعية...
فيرونك ليست لوحدها،
كل الناس هنا تتحدث عن
الانتخابات بشيء من الغضب...
الفرنسي متختم بأدبيات
الغضب السياسي منذ ما قبل
الثورة الفرنسية والمكونة وما
تالها من اضطرابات ومطالبات
اجتماعية حتى مايو 68. يبدو
الفرنسي الأكثر غضباً ومطلبية
من بين الأوروبيين الآخرين. منذ
الثورة إلى اليوم، لم يتعب. كما
تحسن أن وراء كل فرنسي ثمة
فولتير منتم بريد أن يصرخ
غاضباً من الأوضاع.
التفتت فيرونك إلى صديقتها
الجالس حدنا واستمرت:
- هذا شيء مرعب. كل الرؤساء
يكررون في أفريقيا وغيرها

البعثات الإنسانية ويستلمون
البلد.
وغفت: وهناك يجدون نخباً
ساذجة خاصة في مستعمراتنا
القديمة
وعقبت في سزي وكأني أوصل
حديثها: نخب مصابة بالأعراض
الكولونيكالية الكلاسيكية
احتقار الذات، وتقديس السيد
المستعمر، والتماثل الكاذب معه،
مستلمين مهماته الكولونيكالية
التبشيرية.
نخب تؤمن بهدايا بابا نويل
السياسية. بابا نويل الذي ينزل
في الليل من المدخنة بكيسه
المليء ببضائع الديمقراطية
وحقوق الإنسان وحرية المرأة
والمثلية الجنسية وهدم التراث
الذي ينعنا من التقدم والقبول
بالكبان الصهيوني كواحة
ديمقراطية... وبقية اكسسوارات
الحدادة.

نخب ريفية في مجملها العام
قفزت فجأة إلى ما بعد الحدادة...
وهي تعلمنا اليوم هذه الحدادة
التي دشنها العبقري حبيب
بورقبيبة.
تذكرت شكري القوتلي وهو
يسلم مقاليد حكم سوريا لجمال
عبد الناصر، إذ قال له: انتبه
ستحكم شعباً تسعة وتسعون
في المئة من أبنائه يعتبرون
أنفسهم عباقرة، أما البقية
فانبياء. اليوم يبدو لي أن هذا
التوصيف ينسحب على غالب
النخب والمعارضات العربية
التي أوغلت مع المستعمر في
سفك دماء شعوبها وهي تحلم
باننصار الثورة وإقامة المدينة
الفاضلة بعد أن تكون بلدانها
قد تحولت إلى خواء بلقع
شبهياً بالقطب الشمالي
* شاعر ومترجم تونسي

فيرونك عينة مجتمعية...
فيرونك ليست لوحدها،
كل الناس هنا تتحدث عن
الانتخابات بشيء من الغضب...
الفرنسي متختم بأدبيات
الغضب السياسي منذ ما قبل
الثورة الفرنسية والمكونة وما
تالها من اضطرابات ومطالبات
اجتماعية حتى مايو 68. يبدو
الفرنسي الأكثر غضباً ومطلبية
من بين الأوروبيين الآخرين. منذ
الثورة إلى اليوم، لم يتعب. كما
تحسن أن وراء كل فرنسي ثمة
فولتير منتم بريد أن يصرخ
غاضباً من الأوضاع.
التفتت فيرونك إلى صديقتها
الجالس حدنا واستمرت:
- هذا شيء مرعب. كل الرؤساء
يكررون في أفريقيا وغيرها

السنياريو نفسه: يدعمون بقوة
الديكتاتوريين. ثم يحاصرون
الشعب اقتصادياً، يجوعون
الشعب. يشتد الاحتقان داخل
هذه البلدان. يشجعون الأطراف
المتصارعة على الاقتتال يزودون
الطرف الغاضب بالأسلحة.
هل تستطيع أن تقول لي من
أين جاء الشباب الصومالي
بالكلاشنكوف في بلد فيه
مجاوعة؟! بعد ذلك، يأتي العمل
الإنساني بين قوسين. يرسلون

ساحة بول دومير في مدينة
أرل الفرنسية ضوء المساء
البرتقالي يغمر العالم... الناس
منتشرون على الأرصفة كما في
لوحة تعبيرية لكامي بيزارو...
على رصيف المطعم الصغير،
كانت فيرونك المرأة الأربعينية
ذات المريضة الحمراء والدجينز
الأزرق تخاطب صديقها متوترة
مندفعة في الحديث غاضبة
من السياسة الفرنسيين الذين
تحولوا إلى أوليغارشيا كما
تقول، أقلية تتحكم في الشعب
الفرنسي متخفية وراء نظام
الانتخابي جعل لحماية هذه
الأوليغارشيا. ولا بد من تغيير
هذا النظام الانتخابي الفاقد
الصلاحية كما تقول... فيرونك
غاضبة من هؤلاء الرؤساء
المتعاقبين الذين يبدو صورياً
متطابقة لبعضهم البعض
رغم اختلاف اللغة وشعارات
حملتهم الانتخابية والأوان
لمصقاتهم وصورهم التي
تمت معالجتها بالفوتوشوب
وبعناية ودقة كبيرتين...
يجب ألا نلوم حسني مبارك
الثمانيني بشعره الأسود
بالكامل مثل رجل في
الثلاثينيات أو صبغة زين
العابدين بن علي وعلي عبد الله
صالح والقذافي لأن الرؤساء
العرب لا يشيخون. الفرق تلك
الهالة الحمراء التي تلتصق فوق
رؤوسهم والتي تجعل سحنهم
غريبة في غياب تناسب
وجوههم مع شعورهم السوداء
هي سحن شبيهة بوجوه
الدمى العملاقة أو قل بوجوه
ممثلين في مسرحيات الفودفيل
الإيطالية في خمسينيات